سألتك بالرحمن لا تجمعي هوى ... عليه مقيم وهو جار لجاره
فان لم يكن فضل فلفظ مكانه ... بير والا موطن الموت داره

قال فولت عنه وقالت والله لا أفارقك أبداً ثم ولّى وأنف أن يدخل مكة ومضى معه صاحباه ليتعطفانه على شرب الماء فأبى مجالاً في الأرض حتى غلب عليه العطش وانصدع قلبه فسار حتى بلغ الدوحتين فغشيه الموت فأخذ عمرو رأسه فجعله في حجره وقال له قد قصفك الدهر يا مضاض ففتح عينيه وقال قد قصفني قيس ثم مات مكانه قال وكان محليل يتنزل البطاح وكان يجاوره البهلول فلقيت رقيه مَيّا فقالت لها يا مي ما شأنك وشأن مضاض فأعلمتها وقالت لها طمسته يا مي ما كان بيني وبينه سبب غير أني استسقيته ماء وذلك أني كدت أموت عطشاً فأحببت أن أقف على السدنة فلما رأيته مضاض حملتني دالة القرابة وحداثة سنه فكلمته ثم ما رأيته بعدها ورب البيت الى يومي هذا فقالت مي هل بينك وبينه شيء من الشعر قالت لا ها الله ما كاد بيني وبينه غير استسقاء الماء وأتى ميا من أعلمها أمر قيس وما وشى بينهم [illegible] ما كان منه ولعثت الى مضاض فلم تجده وتفاقم شوقها اليه اذ بلغها [illegible] مصرع بموته فتوارت عن الحي الى تلعة أمام الحي وتبعتها جارية يقال لها سلمى من بنات عمها كانت مطلعة على أسرارها فوجدتها ساكنة تنظر يميناً وشمالاً كأنها جنت فقالت لها يا مي ما لي أراك هبلى وقد مات مضاض قالت [illegible] يحزن منعتني الدمع وفي الدمع راحة لو وجدت اليه سبيلاً فلما سمعت [illegible] الى النحيب فأجابتهن بدمعها فبكت وأنشدت تقول

أيا موطن الموت الذي فيه قبره ... سقتك الغوادي الساريات الهواطل
ويا سكنا بالدوحتين مغيبا ... لئن غبت عن الف فالفك [illegible]

ثم آلت على نفسها أن لا تشرب ماء خمسة أيام فأقامت يومين وكبدها تتقد ولا أحد يعلم بها غير سلمى حتى غشيها الموت ثم قامت مع المساء فركبت الى الربوة فلما بلغت أعلاها سقطت قالت سلمى فوضعت يدي على فمها فوجدته كالجمر الصلد ثم رفعت رأسها الي وقالت بلسان غليظ قولي لأبي يدفنني بجوار قبر مضاض ثم استقبلت فأنشدت تبكيها وقالت

يقولون مي أسرعت بفراقها ... فكان مضاض [illegible] تهوى غير نادم
فهل هو الا الروح بالروح [illegible] ... وها هي والله قد ترتقي في الحيازم

ثم لم تلبث الا يسيراً وماتت و[illegible] أباها وأعلمته فصوتها بجزع جزعاً شديداً ودفنها بالدوحتين عند قبر مضاض قال بعضهم ورأيت في كثير من التواريخ عن بعضهم أنه قال مررت بقبر وعليه مكتوب هذا قبر وأنا قبر من إذا اشتاحبس الريح واذا اشتا أرسلها نعظم ذلك عندي ووقفت متعجبا منه

وإذا بإزائه

وإذا بإزائه قبر مكتوب عليه كذب العاص بطرامة لا ينطق أنه سليمان بن داود عليهما السلام بل هو ابن حداد فلم أر قبلهم قبرين يتشاتمان وانصرفت عنهما بطرقة ظريفة قال العسكري أول من اتخذ المحامل الحجاج بن يوسف الثقفي وقال القائل في ذلك

أول عبد صنع المحاملا ... أخزاه ربي عاجلا وآجلا

وقال العلامة ضياء الدين القسطلاني المدفون بباب المعلاة رحمه الله

أرى الود تصفيه الرجال الأجانب ... وأعدى عدو للقريب الأقارب
عداوة ذي القربى سقام مخامر ... ولا سيما الجار القريب المصاحب
أخوك الذي واخاك بالود قبله ... وعمك من عمك منه الرغايب

وقال الشيخ منصور الطبلاوي رحمه الله تعالى متغزلا

ومهفهف فضح الغصون رشاقة ... حل الكمال بوجهه الحسن ثم
طلب المنام وقال لا تخشى العدى ... إذ نامنا واش بتم فقلت نم

وله أيضا في استدعاء نوم من الشيخ أبو النصر الطبلاوي رحمهما الله تعالى

بروحي أفدي من سائر الناس كلها ... تقول دموعي الهجر تحت كبدي رامي
أوجدك نائم كي أرى وقد ... بنوم منه إيصال فقلت لها نامي

وقال الصفي الحلي وأجاد رحمه الله تعالى

إن أسيافنا الطوال الدوامي ... صيرت ملكنا طويل الدوام
إنما نحن في سداد الثغور ... واصطلام العداة في وسط لام
واقتسام الأموال من وقت سام ... واقتحام الأهوال من عهد حام

وزعم بعض الناس أنه لا رابع لها فنظم مولانا الشيخ عبد الله الدنوشري سبعة أبيات زيادة على ذلك فصارت عشرة أبيات وضعها هكذا رحمه الله تعالى

إن أسيافنا الطوال الدوامي ... صيرت ملكنا طويل الدوام
والسهام التي تصيب المرامي ... قربت عزنا قريب المرامي
لم تحل دهرنا الشرب مدام ... بل لكسب العلا وجود مدام
لم تزل نحن في سداد الثغور ... واصطلام العداة في وسط لام
واقتسام الأموال من وقت سام ... واقتحام الأهوال من وقت حام
واصطلام الكماة في وسط دام ... من غبار الحروب والنقع حام
واقتياد الجياد من وقت عاد ... واقتطام الروس من وقت طام
واحتسام سيفنا على تحت شام ... واصطياد الأسود مع الانتقام
واقتباس الثبات في وقت بأس ... واكتساب الثنا عند العظام
واقتباس الأمور في وقت بأس ... وابتدال الأهوال بين الأنام

قال الشيخ عبد الله الدنوشري هذه الأبيات العشرة العشرة منها للفقير البيت الثاني والثالث والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر والثلاثة الباقية

Copyright © King Saud University